مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثالثة من: =**رسالة إلى طالب نجيب**+ وقد حوت على زيادات، وتعديلات؛ فأسأل الله_بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى_أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا **محمد**، وآله وصحبه أجمعين.

محمد بن إبراهيم
الحمد
الزلفي ص.ب: 460
www.toislam.net
15/7/1420هـ

المقدمة

الحمـد للـه، والصـلاة والسـلام علـى رسول الله وعلى آله وصحبه ومـن والاه.
وبعد:

فبينما كنت أقلّب أوراقاً قديمة وجـدت من بينها صورةً لرسالة كتبتهـا منـذ فـترةٍ لطالبٍ نجيبٍ.

وعندما اطّلعت على تلك الرسـالة بـدا لي أن تنشر؛ رجـاء عمـوم النفـع، ولقلـة الرسائل التي توجه إلى الطلاب النجباء.

فها هي الرسـالة مـع بعـض التعـديلات اليسيرة، أوجهها لإخـواني الطلاب سـائلاً المولى أن ينفع بها، ويجعلها في مـوازين الحسنات يوم نلقاه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

7/4/1416هـ

الرسالة

الأخ الحبيب، والطالب النجيب...

وفقه الله، وسدد على الخير خُطاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فـأزفُّ إليـك تحيـةً أرقَّ مـن النسـيم العليل، وأندى من الشَّمْأل البليل، وأكتب إليـك هـذه الكلمـات الـتي ملؤهـا الحـبُّ والودُّ، والإشفاق، والتأميل.

أخي الحـبيب، أكتـب هـذه الكلمـات محباً لـك؛ لأنـك مسـلمٌ، وللمسـلم علـى أخيه المسلم حـقٌّ عظيـمٌ، ولعـل واجـبَ النصيحة أعظمُ ما يبذل من حق.

وأكتَبهـا مُشْـفقاً عليـك مـن نزغـات الشـيطان، ومـن شـرِّ نزعـات النفـس، وصحبة الأشرار الأنذال.

ومـؤملاً فيـك الخيـرَ الكـثيرَ، والمجـدَ والسُّؤدَدَ، والرِّفْعةَ والعلو.

ومذكراً لك ببعض النعـم الـتي لا تـزال

تترا إليك، وتترادفُ عليك؛ فلقد أنعمَ الله عليـك بنعـم جُلَّـى، وامتـن عليـك بمنـن كبرى، تستوجب الشكر؛ لتَدِرَّ وتَقِرَّ.

لقـد مَـنَّ اللـه عليـك قبـل كـل شـيء بالإسلام، وأيُّ نعمة أجلُّ وأعظمُ من تلك النعمـة، ومـنَّ عليـك بـالعلم، فيسَّـرَ لـك طريقـه، وأعانـك علـى سـلوك سـبيله، و =**من يُرد الله به خيراً يُفقِّهـه فـي الدين**+.

وإن مــن شــكر تلــك النعــم أن تَرْنُــوَ للأمثل، وتهفـوَ للأكمـل، وألا تلتفـتَ إلـى الوراء، ولا تقنع بما دون السماء.

وإني مـن خلال الأسـطر التاليـة موصـيك بـأمور أنـا _واللـه_ أحـوجُ منـك إليهـا، ولكنـي آمـل ألا أُحـرِمَ رؤيتها ماثلةً في شخص من أُحـبُّ، وأودُّ له كلَّ خير وفلاح، وإليك هـذه الوصايا:

1 _ التقوى: فتقوى الله هي جمـاعُ الأمـر، وهـي أسُّ الفلاح، ورأسُ النجـاح،

وهـي العُـدَّةُ فـي الشـدائد، والعـون فـي الملمات، وهي مهبط الرَّوح والطمأنينـة، ومتنـزل الصـبر والسـكينة، وهـي مرقـاة العز، ومعراج السمو إلـى السـماء وهـي التي تثبت الأقدام فـي المزالـق، وتربـط علــى القلــوب فــي الفتــن؛ فالزمهــا، وصـــــيِّرها لنفســـــك رأس مـــــال، فهي_والله_خير لباس تَزَيَّنْـتَ بـه، وخيـرُ بضاعة ملكتها يداك.

2 _ الصـبر والمصـابرة، والجـد والمثابرة: فالله اللـه بالصـبر؛ فالصـبر دواء نــاجعٌ، وعلاجٌ نــافع، فمــا أطيــبَ عوائدَه، ومـا أكـثر فوائـده؛ فاصـبر علـى طاعـة اللـه، واصـبر عـن معصـية اللـه، واصبر على قـدر اللـه، واصـبر ثـم اصـبر على طلب العلم، واعلم أن من لم يَعْرَقْ فـي طلـب العلـم جـبينه_لـم يُعْـرِقْ فـي مدارج الكمال، ومراتب الفضيلة.

ولله درُّ العالم الحـبر، والإمـام البحـر، محمد بن إدريس الشافعي×إذ يقول:

اصبر على مُرِّ الجفا من معلم ... فـإنَّ رسـوبَ العلـم في نفراته

ومـن لـم يَـذُقْ مـرَّ التَّعلُّم ساعةً ... تَجَــرَّع ذلَّ الجهــل طولَ حياته

ومــن فـاتَه التعليـمُ وقــتَ شــبابه ... فَكبِّــر عليــه أربعــاً لوفاته

وذاتُ الفتى _والله_ إذا لم يكونا لا ... اعتبارَ لذاته في العلم والتقى

* ورحم الله الرافعي حين قال:

ومــن يَجِــدَّ يَجــدْ ... فربمـا راحـةٌ جـاءت من التعب

والنفس إن تعبت ... ويلٌ لمن عـاش في لهو وفي لعبِ

فَمِيْتَـةُ المجـدِ بيـن اللهو واللعب

* وحين قال حاثّاً على اطِّراح الكسل، موصياً بالجِدِّ:

غير أن الكسول في كل يوم ... يجد اليومَ كله أهوالا

ويــــرى الكتْــــب والدفاتر والأقـ ... ـلام والــدرس كلَّهــا أحمالا

مــن يقــمْ بــالأمور بالجد يهنا ... والشَّقا للـذين [قـاموا كسالى]

* وقال:

لقد كذَّب الآمال مَنْ كان كسلانا ... وأجْدَرُ بـالأحلام مـن باتَ وسنانا

ومن لم يعانِ الجدَّ في كل أمره ... رأى كــلَّ أمــرٍ بالعواقب خذلانا

فمـن كـان مقـداماً وباء بكل الويـل مـن
فقد فاز جَدُّه ظل جبرانا

3 _ تبجيـــــل المعلميـــــن واحـترامهم: فـالله اللـه بـاحترام كـل معلم لك، ولـو كـان ناقصـاً فـي نظـرك، فَخُذْ ما عنده مـن خيـر، وعليـك بتبجيلـه، وتوجيبه، والدعاء له، والثناء عليه، وإلا فلا أقلَّ من أن تُقْصرَ عن ذمِّه وعيبه.

ثم إن وقع المعلم في خطأ مـا، وأردت لفْتَ نظره إلى ذلـك_فلا تقـل: أخطـأتَ، أو نحو ذلك، وإنمـا ليكـن تَنْبيهُـكَ بأجمـل عبارة، وألطف إشارة، يدرك بهـا المعلـمُ خطأه، دون أن تُشَوِّش عليه قَلْبَه.

4 _ الحــرص علــى الاســتفادة: فالعاقل اللبيب يحرص على الإفـادة مـن كل أحد؛ فيستفيد الأدب، وحسن الخلـق، وحسـن السـمت والهـدي مـن الأتقيـاء، والكرماء، وأهل المروءات.

بــل ويفيــد مــن الحمقــى، وســيئي الأخلاق، وذلـــك بـــأن يستشـــعر قُبـــحَ صـنيعهم، ويتجنـبَ كـلَّ مـا يفضـي إلـى

التخلق بأخلاقهم.

بل إن العاقل الفطن يستفيد حتى من الحيوانات، كما قال ذلك غير واحد من أهل العلم أخذاً من قوله_تعالى_:[**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**] (الأنعام: 38)، قال بعض أهل العلم: إن الشبه بين بني آدم والبهائم إنما هو في الطباع، فمنهم من يتطوس كالطاووس، ومنهم من يَهْتصرُ اهتصارَ الأسد، ومنهم من هِمَّتُه كالجعلان، وهكذا...

قيل لأحد العقلاء: ممن استفدت السماحة والكرم؟. قال: من الديك؛ يُلقى له الحَبَّ، فلا تطيب نفسه حتى يَجْمَعَ دجاجاتِهِ ويُفَرِّقَ الحَبَّ بينها.

وقيل لأحدهم: ممن تعلمتَ عِزَّةَ النَّفْس ؟. قال: من أشراف الأسودِ وكرامها؛ فإنها لو جَهَدَها الجوعُ لم تأكل من فريسة غيرها.

وقيل لآخر: ممن تعلمت الحرص ؟

قال: من النملة. وهكذا دواليك...

5_ المحافظـــة علـــى الـــوقت: فالوقت رأس مالك، وهو أَجَـلُّ م ا عنيـت بحفظه، والحكيم الخبير من يَقْدُر الـوقت حـــق قـــدره، ولا يتخـــذه وعـــاءً لأبخـــس الأشياء، أو أسخف الكلام، ويعلم أنه أجل شـــيء يصـــان عـــن الإضـــاعة والإهمـــال، ويَقْصُره علـى المسـاعي الحميـدة الـتي ترضي الله، وتنفع الناس.

أما من كتب على نفسـه البطالـة فقـد رضي لهـا بأسـوأ الحـرف، وأخسـها؛ إذ لا صُنْعَ لهذا المحـترف غالبـاً إلا التمضـمض بكلمـات التشـنيع، والتسـخط علـى مـا يفعله غيره وإن غَـزُرَتْ فائـدته، ولا تـراه إلا مـتردداً علـى المجـالس الـتي تسـاق إليها بضائع اللهـو؛ ليكـون أحـد الحـاملين لأسفارها.

6 _ علو الهمة: فلا تنظر إلى من هو دونـك فـي أمـور الـدين والعلـم وسـائر الفض ائل، ب ل انظـر إلـى مـن هـو أعلـى

منك، ولا تنظر إلى من هو أعلى منك في المال، والصحة، والجاه، بل انظر إلى من هو دونك.

فكن متطلباً للكمالات، ناشداً للمعالي، متجافياً عن سفْسَافِ الأمور، ومرذول الأخلاق.

ولا تشغل نَفْسَك بتوافه الأمور ومحقراتها؛ فإن هذا يعوق سيرك، ويحط من قدرك.

إذا ما علا المرءُ ويقنعُ بالدون من

7 _ شرف النفس: فذلك يوجب لك أن تنأى عن الأسباب التي تحطها، وتضع قدرها، وتخفض منزلتها، وتحقِّرها، وتسوِّي بينها وبين السفلة؛ وإنما تعلو قيمة المرء، وتسمو مكانته بقدر نصيبه من بُعْد الهمة، وشرف النفس.

وإذا عَلِمَتْ نفسٌ طاب عنصرها، وشَرُفَ وِجْدانُها أن مطمح الهمم إنما هي غاية، وحياةٌ وراء حياتها الطبيعية_لم تقف عند حدِّ غذاء يَقُوتُها، وكساءٍ

يسترها، ومسكنٍ تأوي إليه.

بل لا تستفيق جهدها، ولا يطمئن بها قرارها إلا إذا بلغت مجداً يصعد بها إلى أن تختلط بكواكب الجوزاء.

* قال منصور الهروي:

خلقت أبيَّ النفس لا أتبع الهوى	ولا أستقي إلا من المشرب الأصفى
ولا أحمل الأثقال في طلب العلا	ولا أبتغي معروف من سامني خسفا
ولست على طبع الذباب متى يُذَدْ	عن الشيء يسقط فيه وهو يرى الحتفا

8 _ العفةَ العفةَ: فهي تتولد من الحياء من الله، ومن شرف النفس وزكائها، وحَمِيَّتها، وأنفَتها.

ومن العفة ألا تكون عبداً لشهواتك، مسترسلاً مع كافة رغباتك؛ فالنفس لا تقف عند حدٍّ.

ومَنْ يُطعم النفسَ ما تشتهي	كَمَنْ يطعمُ النار حَزْلَ الحطبْ

ولا يكون من وراء اتباع الشهواتِ إلا إذلالُ النفس، وموت الشرف، والضعةُ، والتسفُّل.

وإن من عجائب حكمة الله أن جعل مع

الفضيلة ثوابها؛ من الصحة والنشاط، وحُسْن الأحدوثة، وجعل مع الرذيلة عقابها، من المرض، والحِطّة، وسوء السمعة.

ولَرُبَّ رجلٍ ما جاوز الثلاثين يبدو مما جار على نفسه كابن ستين، وابن ستينَ يبدو من العفاف كشابٍّ دون الثلاثين.

وبالجملة: فشرف النفس وزكاؤها يقودان إلى العفة والتسامي، والمرء بين عاطفة تخدعه، وشهوة تتغلب عليه؛ فمتى لم يجد من عقله سائساً، ومن دينه وازعاً يصارعان الميول، ويقاومان الضعف والهوى_وقع في الخطايا، وانغمس في الشرور والرذائل.

وإن قوي على عصيان الهوى، والنفس، والشيطان، والشهوة، وثبت في مواقف هذا الصراع الهائل_كان في عداد المجاهدين، وترتب على انتصاره وفوزه جميعُ المكارم، والفضائل التي تنتهي به إلى خيري الدنيا والآخرة.

9 _ الإحسان إلى الناس: فبذلك تُرضي ربَّك، وتكْسِبُ ودَّ إخوانـك، وتنـال الخيرات، وتنهالُ عليك البركاتُ؛ ذلـك أن الإحسان إلى الناس شـأنُه جلـل، وأمـره عظيم.

ومـن مظـاهر ذلـك: أن تعيـنَ زملاءك، وأن تَفْتَح لهم صـدْركَ، وألا تبخـل عليهـم بإعانةٍ، أو مشورة، أو نصيحة، أو تعليم أو مناقَشَةٍ، أو غير ذلك...

ومـــن ذلـــك: أن تحمـــل همَّهـــم، ولا تُحمِّلهـــم همَّـــك، وأن تُحســـن إليهـــم، وتتغاضـــى عـــن هفـــواتهم، ولا تطـــالبهم بالمقابـــل؛ فـــإن ذلـــك دأبُ النبلاء، وأدبُ الفضـلاء، ممـن تمـت مُرُوءَتُهـم، وكمـل سُؤْدَدُهم، وتناهى فَضلُهُم، حـتى إن ذلـك السلوكَ ليروقُ كـلَّ النـاس علـى اختلاف مشاربهم، بـل إن أهـل الجاهليـة كـانوا لا يعدلون بتلك الخلال شيئًا، وكانوا يسمون من اتصف بها =السيد المُعَمَّمَ+ ويَعْنُون بذلك أن كـل جنايـة مـن جنايـات القبيلـة

معصوبةٌ بعمامته، وبرأسه.

10 _ حافظ على أدب المحادثة:

فلا تقاطَعْ متحدثاً، ولا تستخفنَّ بحديثه، أو تبادر إلى تكذيبه وتَخْطِئَتِهِ، ولا تقم مِنْ عنده وهو يتحدث ما لم تستأذن منه، ولا تنازعْه الحديث أو تُكْمِلْه إذا شرع فيه، بل أقْبِل عليه بوجهك وسمعك، وأصِخْ إليه ولو كنت قد سمعت حَدِيثَهُ من قبلِ؛ فإن ذلك من مُقَومات المروءة.

وإياك والهذرَ، والحديثَ عن النفس على سبيل المفاخرة والاستطالة، ولا تتحدث عند من لا يرغب في حديثك، ولا تجرح مشاعر الآخرين، ولا تُواجِهْهُمْ بما يكرهون، ولا تتحدثْ بما لا يناسب المقام، وجانب التَّفَحُّشَ في القول، وبذاءةَ اللسان، وذكرَ العبارات التي يمجها الذوق السليم.

ولا تسكت في محل الحاجة، ولا ترفع الصوتَ بلا داع، وإياك وكثرةَ الجدل؛ فإنه يذهب بالبهجة، ويجلب الضغينةَ، ويمحق

المودات، ويقودُ إلى العداوات.

واعلم أنَّ للِّسان آفاتٍ كثيرةً؛ فإن أطلقت له العنان قادك إلى الهلكات، ونزل بك إلى حضيض الدركات.

رأيتُ اللسانَ على أهْله إذا سَاسَهُ الجهلُ لَبْثاً مُغِيرا

11 _ قَيّد العلم بالكتابة: فاحرص على كتابة ما تسمعه من تحقيق بحث، أو حكمة تشريع، أو نُكْتَةٍ غريبة في بابها، أو قصة بديعة، أو نحو ذلك، كما كان عليه السلفُ، فَخَلَّدوا لنا بذلك ذكْرًا لا ينسى.

ولا تكسل عن الكتابة بحجة أنك تعلم أن تلك الفائدة، أو هاتيك الشاردة في الكتاب الفلاني.

ومما يستحسن في ذلك أن تصطحب معك مذكرةً تضعها في جيبك؛ لتكتب بها خواطرك، ونفيس ما تسمعه؛ فإنَّ إهمالَ الفوائد خسارةٌ كبرى.

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قَيْدُه قَيِّد صيودَك بالحبال الواثقهْ

فمن الحماقة أن تصيدَ غزالةً وتُسِيمَها بين الخلائق طالقهْ

12_ تدرّب على الخطابة: فعَوِّد

نفسك على إلقاء الكلمـات، سـواء أمـام زملائك، أو أمام مدرسيك، أو في مجـامع الناس؛ فالخطابة من مقومات المـروءة، ومن ضروب الشجاعة الأدبية، وهي ممـا يعينك على بثِّ العلم، ونفع الناس.

فلا يَقْعُدَنَّ بك الخوفُ عن اكتساب تلك الخصـلة الشـريفة؛ إذ ليـس مـن شـرط الشجاعة ألا يجد المرءُ في نفسه الخوف من الكلام أو الإقدام؛ فذلك شعورٌ يجـده كُلُّ أحدٍ إذا هو همَّ بعمل جديد أو كبير.

بل يكفي في شجاعة الرجل ألا يَعْظُـمَ الخـوفُ فـي نفسـه، حـتى يمنعـه مـن الإقدام، أو يرجع به إلى الانهزام.

فَثِقْ بنفسك، وتوكَّل على ربـك، وخُـذْ بالأسباب، فأعدَّ للكلمة جيـداً، خصوصـاً في بداياتك، ثم وطِّن نفسك على الصبر عنـد الصـدمة الأولـى، وإيـاك وتضـخيم النتائج؛ فهبْ أنك تكلمت مرة فأخطـأت أو لم تُجِـدْ، مـاذا فـي الأمـر ؟ لا شـيء؛ فكلُّ أحد عرضةٌ للخطـأ، بـل إن الخطـأ

هـو طريـق الصـواب؛ فلا تُعَظِّـم شـأن الخطأ في نفسك، ولا تبال بلمـز النـاس وعيبهم؛ فالسلامة منهم عزيزةُ المنال.

ليس يخلو المرء من ضِدٍّ ولوْ ... حـاول العزلـة فـي رأس جَبَل

ثـم انظـر فـي عـواقب الأمـور؛ فهـل سـتدع اكتسـاب هـذه الخصـلة، وتعيـش طـوال عمـرك وأنـت لا تجيـدها ؟ أتـرك الجـواب، وأقـول لـك: بـل عـوِّد نفسـك، ودرِّبْهـا مـرة بعـد أخـرى، حـتى تـألف الخطابة، وتعتادها، فتكون_بمشيئة الله_ خطيباً مِصْـقَعاً تـؤثِّرُ فـي النـاس، وتهـزُّ أعواد المنابر، لا تُقَيِّدُك حُبْسـةٌ، ولا يثنيـك جماح؛ و=إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم+.

13 _ لا تجعل الدنيا أكبر همّـك ولا مبلغ علمك: فلا تتألّمْ إذا أعرضت عنـك؛ فلـو عَرَضَـتْ لـك لشـغلتك عـن كسب الفضائل، وقلّما يتعمق في العلـم ذو ثروة، بل أَعْرِضْ عنها، واصرف همك لطلـب العلـم؛ فـإنه_واللـه_هـو زينتـك

وحليتك، فإذا تمكنت من العلم وشهرت به_خُطبت من كل جهة، وجاءتك الدنيا ذليلة صاغرة، ورحم الله الإمام الشوكاني إذ يقول:

ألا إن الفتى رب المعالي ... إذا حقَّقْتَ لا ربُّ الثراء

ومن حاز الفضائل غير وان ... فذاك هو الفتى كل الفتاء

فما الشرف الرفيع بحسن ثوب ... ولا دارٍ مشيَّدةِ البناءِ

ولا بنفوذ قولٍ في أناسٍ ... فإن نفوذه أصلُ البلاء

فرأس المجد عند الحيِّ علمٌ ... يجود به على غادٍ وجائي

14 _ واعلم ثُمَّ إعلم فضلَ العلم: فإن للعلم عبقاً وعَرْفاً ينادي على صاحبه، ونوراً وضياءً يُشْرقُ عليه، ويدل الناس إليه، كتاجر المسك لا يخفى مكانُهُ، ولا تُجْهَل بضاعتُه.

والعلم زينة أهله بين الورى ... سيان فيه أخو الغنى والمُعْدَمُ

لا فخر في نسب لمن بالعلم لولا النابُ ذلَّ الضيْغَمُ

وأخـــو العلا يســـعى فيدرك ما ابتغى ... وســواه فــي أيــامه يَتَظَلَّمُ

والخـاملون إذا غـدوت تلومهم ... حســـــبوك فـــــي أسماعهم تَتَرَنَّمُ

فــي النــاس أمــوات وخزُ الأسـنةِ فيهـمُ لا يؤلمُ ... كأحياء الوغى

فاصـــدم جهـــالتهم بعلمك انما ... صـــــدمُ الجهالـــــة بالمعارف أحزم

واملأ فــؤادك رحمــة لذوي الأسى ... لا يرحم الرحمن مـن لا يرحمُ

* ورحم الله ابن الوردي حين قال:

اطلــبِ العلــمَ ولا تكسلْ فما ... أبعدَ الخيرَ على أهل الكسلْ

فــي ازديــاد العلــم إرغام العدا ... وجمالُ العلم إصلاحُ العملْ

لا تقــل قــد ذهبــت أرباؤُهُ ... كـلُّ مـن سـار علـى الدرب وَصَلْ

15_ تجنَّــب الغلظــة والشــدة، وإياك والتخاذل والرخاوة الزائدة:

عليـــك بأوســـاط الأمور؛ فإنما ... نجاةٌ ولا تركبْ ذلولاً ولا صَعْبا

16 _ لا تَـترفع بحيـث تُسـتثقل، ولا تتنـــازل بحيـــث تُســـتخس وتستحقر: واعلم بأن السلامة أن تنجو مــن دائيــن قــاتلين: أحــدهما الغــرور،

وثانيهمـا المبالغـة فـي احتقـار النفـس؛ فالإنسان السوي الذي ينظر الأمـور كمـا هـي_هـو ذاك الـذي يسـير علـى حـد الاعتـدال؛ فلا يُغَـرُّ بمـا عنـده مـن ذكـاء، وعلم وقوة، فيزعم لنفسـه كـل فضـيلة، ويتطاول بغروره إلى كل منزلة.

ولا يركن في الوَقْت نفسه إلى جوانب الضـعف فيـه، فيقـودُه إلـى أن يَحْتَقـر نفسه، ويزْدَريَ إمكاناته ومواهبَهُ، فيَقْعُـدَ عن كل فضيلة، ويعيش فـي هـذه الحيـاة كأنه هملٌ مضاعٌ، أو لَقَىً مُزْدرَىً.

17 _ تجنب الوقيعة في الناس: واجعـل كلامَـك ربانيـاً لا ينفـك_فـي الغالب_من قرآنٍ، أو سنةٍ، أو حكمـةٍ، أو بيتٍ نادرٍ، أو مثلٍ سائرٍ، أو نحو ذلك.

18 _ اغتنم زهرة العمر وميعـة الصبا: فإنها فرصة، والعاقل مـن يبـادر الفرصة؛ حتى لا تضيع، فيندم ولات ساعة مندم.

بادرِ الفرصةَ واحـذرْ فبلوغُ العزِّ فـي نيـل
فَوْتَهـــــــــــــا الفرصْ

فابتـــدرْ مســـعاك بـــادَرَ الصـــيدَ مـــع
واعلم أنَّ مَنْ الفجر قَنَصْ

19_ ليكـــن ســـرُّك خيـــرًا مـــن علانيتك: واعلـم أن النـاسَ شـهود اللـه على مَنْ في الأرض، يريهـم _عـزَّ وجـلَّ_ خير العبد وإن أخفاه، وشـره وإن سـتره؛ فبـاطنه مكشـوف للـه، واللـه يكشـفه لعبـاده؛ فمـن أخفـى خبيئـة ألبسـه اللـه ثوبها، ومن أضمر شيئاً أظهره الله عليه؛ فالجزاء من جنس العمل، [**مَـنْ يَعْمَـلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**] (النساء: 123)؛ فليكن باطنُك خيرًا من ظـاهرك، وسـرُّك أصـبحَ من علانيتك.

20 _ إياك والحسد والحقد: فـإن اتصفت بـذلك فـأنت الخاسـر الأول، وإن سلمك الله منه فزت وأفلحت.

21 _ سلامة الصدر: فعليك بسلامة الصـدر، وحُـبِّ الخيـر للآخريـن، والتـودُّدِ لهـم، ومقـابلتهم بـوجه طلـق، ولسـان رَطْب، دونما بحث عمـا تكنُّـهُ صـدُورهُم، وتنطوي عليه سرائرُهُم.

22 _ لا تيأسن من استصلاح النفس: ولا تَقُلْ جُبلْتُ على خصلة سيئة؛ فلا أستطيع الفكاك منها، لا، بل إن الإصلاح ممكنٌ، والتغيير وارد، إذا أخذت بالأسباب، ودخلت البيوت من الأبواب، وحرصت على تزكية نفسك، وجاهدتها في ذات الله، [**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**] (العنكبوت: 69).

23 _ إياك والتقليد الأعمى: وأقبح ما في ذلك تقليد الكفار والفساق في توافه الأمور، ومستهجن العادات، ومرذول الأخلاق؛ كتقليدهم في نحو الملبس، وقصات الشعر، وطريقة الأكل، ونحو ذلك.

فالمقلدون على هذا النحو يزيدون أمتهم وهناً على وهن، ويكونون كالعثرات تعترض طريق نهوضها، أو تجعله_في الأقلّ_بطيئاً.

ومتى كثر في الناس أمثال هؤلاء الذين لا يميزون في محاكاتهم السيئة

مـن الحسـنة_أوشـكت الأمـة أن تفقـد هـدايتها، وتتجـرد مـن معـاني أصـالتها وعزتها.

ولا تفلـح أمـة نكثـت يـدها مـن الـدين الحق، ولا يعتز قوم نظروا إلى أصـالتهم، وتاريخهم المجيد بازدراء، ولا يُقْـدِم علـى هذه التبعية المقيتة، والتقليـد الأعمـى إلا من تَدَثَّر الذلة، وسهل عليـه الهـوان؛ وإلا فالأمة العزيزة هي التي تعرف مقدار مـا تأخذ، ومقدار ما تعطـي، ونـوع مـا تأخـذ، ونـوع مـا تعطـي، فتُفَـرِّقُ بيـن محاكـاة الأجنبي المحمـودة، ومحاكـاته المنبـوذة، سالكة بذلك طريقاً وسطاً، يكفل سعادة الأولى والآخرة.

وهكذا كان حال المسلمين لمـا كـانوا متمسكين بالدين القويم؛ حيـث ساسـوا العالم، ودانت لهم أمم الأرض.

كنا بدورَ هدايةٍ ما مِنْ سنىً إلا ومـــن أنوارهـــا يُستمدُ

كنا بحورَ معـارفٍ مـا من حُلىً إلا ومـــن أغوارهـــا يُتصيَّدُ

ما صرصرت أقلامنا في مُفْرِقٍ ... إلا رأيت الدرَّ كيف يُنَضَّدُ

من كل معنى يبهر الألباب أو ... نسج يقوم له البليغُ ويقعدُ

ويقوم فينا للخطابة مِصْقَعٌ ... فترى بنات الفكر كيف تَوَلَّدُ

ومن احتمى بِطِرافنا السامي الذرا ... آوى إلى الحرم الذي لا يضمد

لا يمتري أهل التَّمَدُّن أنهم ... لو لم يسيروا إثْرَنا لم يصعدوا

فسلوا متى شئتم سَرَاتَهُمُ فما ... من أمة إلا لنا فيها يدُ

أبناء هذا العصر هل ... تشفي غليلاً حَرُّه يتصعَّدُ

من نهضة

24 _ إياك وصحبة الأشرار:

فَصُحْبَتُهُمْ خزيٌ وعارٌ، وذلة وشنار، لا خير فيهم، ولا نفع يرجى من ورائهم؛ إذ كيف ينفعونك وهم لم ينفعوا أنفسهم ؟!

قد هيؤوك لأمر لو فَطِنْتَ له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وكن مع الخلق ما كانوا لخالقهم ... واحذر معاشرة الأوغاد والسفل

فالإنسان يلزمه شرعاً وعقلاً ألا يجالس إلا المصطفين الأخيار، وأن يربأ بنفسه عن مقاربة أهل السفاهة

والبَطالة؛ فيجتهد في اختيـار الأصـحاب، ومجالسة ذوي الألباب، ويجتنب مخالطة الفجار، ويعتزلهم اعتزال المنهج الـردي؛ لأن كل قرين بالمقارن يقتدي.

ولا ينفـــع الجربـــاءَ إليها ولكنَّ الصحيحةَ تَجْرُبِ قربُ صحيحة

25 _ وبالوالـدين إحسـانًا: فـإذا أردت العـزَّ والفلاح فعليـك بـبر والـديك، والسعي فـي مرضـاتهما، والتـذلل لهمـا، والفـرح بأوامرهمـا، والحـرص علـى مـا يسـرهما_تُفْتَـحْ لـك أبـواب الخيـر، وتنـل سـعادة الـدارين، وإن كـان أحـدُهما أو كلاهمـا ميتـاً فـأكثر لـه مـن الـدعاء والاستغفار، وكن صالحاً بنفسك يستجب دعاؤك لهما.

26 _ إياك والتسـويف: فلا تؤجـلْ عملَ اليوم إلى غد، بـل إحسـم أعمالـك أولاً فأولاً، وقم بما يسند إليك علـى أتـم وجه، ولا تحقـر شـيئاً مـن عمـل غـد أن تعجله اليوم وإن قل.

فلا تتقاعـد إن تَلُـحْ لك فرصة ولا تَـزْدَرِ الشـيءَ الحقيرَ وإن هانا

ورحم الله الرافعي إذ يقول:

المـرءُ يُمنى بالرجـا ... ويضيع بينهما ضعيفُ الباس

فإذا عزمت فلا تكـن ... مـتـردداً فَسَـدَ الهـوى بِتَـرَدُّدِ الأنفاس

وإذا اسـتعنت فبالتجارب إنما ... للنفـس كالأضـراسِ للأضراس

وعلامَ ترجـو النـاس ... يعنيـك أنـت وأنـت بعض الناس

النفـس قـوس والعزيمة سهمها ... فارمِ الرجا من هذه الأقواس

وأضِـئْ حياتَـك بالمعـارف إنمـا ... هي في ظلام العمر كالنبراس

واجعـل أسـاسَ النفس حبَّ الله إذ ... لا خيـر فـي الـدنيا بغير أساس

27 _ الحياءَ الحياءَ: فهذا الخلق إذا غَرُزَ في النفس، ونمت عروقه فيها ازداد رونقها صفاءً، ونفض على ظـاهر صـاحبه مآثر خَيْرات حِسان.

وإذا انـتزع مـن شـخص فَقَـدْ فَقَـدَ المروءة، وثَكَل الديانة الـتي هـي الجنـاح المبلغ لكل كمـال؛ ذلـك أن الحيـاء خلـق يبعث على فعـل الجميـل، وتـرك القبيـح، وهو عبارة عن انقباض النفـس عمـا تـذم

عليـه، وثمرتـه ارتـداعها عمـا تنـزع إليـه الشهوةُ من القبائح.

فـإذا تمـزق سـتر هـذه الفضـيلة بغلبـة الشهوة على النفس اختلت هيئة الإنسان بالضـرورة، وبقـي صـاحبها سـائماً فـي مراتـع البغـي والفسـوق، وبئـس الاسـم الفسوق بعد الإيمان.

وبالجملة فالحياء كلـه خيـر، والحيـاء لا يـأتي إلا بخيـر، والحيـاء خلـق الإسـلام، والحياء شـعبة مـن شـعب الإيمـان، كمـا صـحت بـذلك الأخبـار عـن النـبي_عليـه الصلاة والسلام .

ولئن كان الحياء جِبِلِّياً فإنه يزيد ويتأتى بالأخـذ بالأسـباب، ومنهـا مطالعـة أخلاق الكُمَّـل، واستحضـار مراقبـة اللـه؛ فمـن ذلـك يتولـد الحيـاء؛ إذ كيـف يتقلـب فـي نعمه، ويستعين بها على معصيته ؟! فـإذا شعر العاقل بذلك استحيا من الله.

ومـن ذلـك: تـذكر الآثـار الطيبـة للحيـاء، والآثار القبيحة للقِحَة والصفاقة.

ومن ذلك: مجاهدة النفـس علـى الحيـاء،

وتدريبها على اكتسابه.
فـإذا اتصـف المـرء بالحيـاء قـرب مـن الكمال، ونأى بنفسه عن النقائص.
28 _ تقبل النقد البناء والنصـيحة الهادفــة: فلا تســتكبر أو تســتنكف عــن قبولها من أي أحد، بل تقبَّلْهـا بصـدر رحـب، ونفس مطمئنة.
29 _ عليـك بالصـدق: فهـو دليـل على سموِّ النفس، وبعـد الهِمَّـة، وحسـن السيرة، ونقاء السريرة، ورجحان العقل، وتمام المروءة.
وبالصدق يشرف القَدْرُ، ويصفو البال، ويطيب العيش.

عــوِّد لســانَك قــولَ الصدق تحظَ به إن اللســانَ لمــا عوَّدْت معتادُ

30 _ الإخلاصَ الإخلاصَ: فـــإن للإخلاص شأناً جللاً، وتأثيراً عظيماً، فمن تَعَكَّسْـت عليـه أمـوره، وتضـايقت عليـه مقاصدُه_فليعلم أنه بذنبه أصـيب، وبقلـة إخلاصه عوقب.
فـالإخلاص يرفـع شـأن الأعمـال حـتى تكـون مراقـيَ للفلاح، وهـو الـذي يحمـل

الإنسان على مواصلة عمل الخير، وهو الذي يجعل في عزم الرجل متانةً، ويربط على قلبه فيمضي إلى أن يبلغ الغاية.

فلولا الإخلاصُ يَضَعُهُ الله في نفوس زاكياتٍ لحرم الناسُ من خيراتٍ كثيرةٍ تقف دونها عقباتٌ.

31 _ الزم الشورى: وإياك والاستبدادَ؛ فإنه بئس الاستعداد، واستشر الأمناء الأتقياء، واستنر برأيهم.

32 _ أقم الصلاة: فالصلاة قرة عيون المحبين في هذه الدنيا؛ لما فيها مِنْ مناجاة مَنْ لا تَقَرُّ العيون إلا به، ولا تطمئن القلوب إلا بذكره، ولا تسكن النفوس إلا إليه، ولا تحلو الحياة إلا بالقرب منه، والخضوع والتذلل له؛ فالمحب راحته، وقرة عينه في الصلاة؛ فاحرص على إقامتها على هيئاتها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، واحرص على الخشوع فيها تنل من الخير بقدر حرصك عليها.

33 _ وأمر بالمعروف وانة عن

المنكر: حسب قدرتك وطاقتـك، مراعيـاً الحكمة في شأنك كله.

34 _ ورتل القرآن ترتيلاً: فاحرص كل الحرص علـى حفـظ القـرآن، وتـدبره، والعمـل بـه، وأكـثر مـن تلاوتـه آنـاء الليـل وآناء النهار؛ فهو مأدبة الله في أرضه، وهو الذي يهـدي للـتي هـي أقـومُ، ويـدفعُ إلـى الكمـالاتِ، ويملأُ النفـوس بعِظَـم الهِمَّـة، وهذا العِظَمُ هو الـذي قَـذَفَ بأوليـائه ذات اليميـنِ وذات الشـمالِ، ففتحـوا القلـوبَ والبلادَ، وفَجَّروا أنهارَ العلوم تفجيراً.

وإذا رأينا من بعض قُرائه هِمماً ضعيفةً، ونفوساً خاملةً_فلأنهم لم يتدبروا آياتِهِ، ولم يتفقهوا في حِكَمِهِ.

وكتـــابُ ربِّـــك إن ... من كل خيـر فـوق
نورُ الوجودِ وأنـسُ ... بكروبـــه ضـــاق
فـــادفن همومـــك ... تَحْـــلُّ الحيـــاة
فبكـلِّ حـرفٍ مـن ... نبـأ يبشـر أو نـذير

35 _ وخالق الناس بخلق حسـن:

وجماعُ ذلك أن تصلَ من قطعك، وتعطي من حَرَمك، وتعفو عمن ظلمك[**خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ**] (الأعراف: 199).

36 _ وإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب: فإذا خلوت من التَّعَلُّم، والتَّفكر، والأعمال_فَحَرِّك لسانَك بذكر الله، وشكره، واستغفاره، ودعائه، وتسابيحه، وخاصة عند النوم؛ كي يَتَشَرَّبَهُ لُبُّك، ويَتَعَجَّن في خيالك، وتتكلمَ به في منامك.

أخي العزيز المبارك، لقد أطلتُ عليك، وما ذاك إلا لأني أعرف من أخاطب، ولو خاطبتُ غيرك لما خاطبته هكذا، ولما طالبته إلا بالقليل مما مضى، بل إن في جعبتي مما لم أقُلْهُ أكثرَ وأكثرَ، ولكن كما قيل:

وفي النفس حاجاتٌ وفيكم فطانةٌ

فأسأل الله ألا يُخَيِّبَ ظني فيك، وأن يجعلك فوقَ ما أظن، وألا أراك في كل

حين إلا وأنت أفضلُ من ذي قبل.

هذه كلماتٌ أحْبَبْتُ كتابتها إليك، عسى الله أن ينفعني بها وإياك.

فـإذا مـا قَصَّـرَتْ أقلامُنا ... عن حقوق للأخلاءِ كما

فالذي قد حلّ فـي الصدر من الـ ... ـودِّ يكفـي عـن كثير الاعتذار

وأخيـراً؛ لا يسـعني وأنـا أضـع يـدي عـن شَـبَاةِ القلـم إلا أن أسـأل اللـه بأسـمائه الحسنى، وصـفاته العلـى_أن يجعلـكَ مـن أوليائه وأصفيائه، وأن يجعلك مباركاً أينمـا كنت، وأسأله أن يُقرَّ أعيننا برؤيتـك عالمـاً مـن علمـاء المسـلمين، وأن يقِـرَّ عيـن والديك بصلاحك وفلاحك وبـرك، إنـه ولـي ذلك والقادر عليه.

وقبل أن أودعك أسوق لـك هـذه الأبيـات الـتي تصـف حـال الطالب النجيب:

بـــاكرتَ تجنـــي العلومَ كالصَّبـاح ... ونبذت أهل بَطالـة ومِلاح

فـي همـةٍ وقّـادةٍ، وعزيمـةٍ ... ليست بذات خلابة وسماح

لا تصـــــطبيك الخلـيـ ... ـعة في الأقداح كلا، ولا الصـــهباءُ في الأقداح

عنـــد المصـــيبة ليست ذا جزع ولا ... عنـــد المســـرة والفتـى الصفاح

تلقــى الصــحاب تبـــديه صـــفحةُ
وعليـك مـن خِلَـعِ ومهابـةٌ مقرونـة
إن جنَّ ليـلٌ قمـت وطرقـت بـاب
تتلو الكتاب برقـةٍ، تـــدعو بقلـــب
ولربمـــا طـــال بـوداع ليلـك غـرةُ
أمـا أنيسـك فهـي علمـاً يُمِـدُّ أولـي
نعم المؤيدُ للتقـيِّ نعـم المـؤنِّسُ
وصِحابك الأخيار لا بدلاً، فهم جندٌ مـن
ما ودهم مذقٌ، ولا هـذرٌ، ولا أفعـالهم
وإذا سألك فسُؤلَ لا ســـــــؤل
وإذا نطقـــــت هُجْـر يشـين ولا
أدبٌ وإنصـــاتٌ، وتعامـلٌ بالنَّصـف

---

[1]() الغطريس : المتكبر، المعجب بنفسه .

كـــرمٌ، وطيـــبُ ومـــآثرٌ بيـــضٌ

حزت العلا والمجد فكأنمـا وُشِّـحْتَهُ

يـــا أيهـــا دعـــةٍ، ولا تحفـــل

من للخطوب وقـد وأتت مع الإمسـاء

كيـف الفلاح لأمـة لا تستجيب لحكمة

إن أنـــت آثـــرت بالـدون لا تسـعى

يـا أيهـا النحريـر، هـذي العلا فـانزل

أنت المؤمـل بعـد فـي كشـف غمتنـا

بـــالعلم بـــالتقوى بالســـعي بيـــن

أوتيت أنوار الهدى تَطغى فتُلقى فـي

والسـلام عليكـم ورحمـة اللـه وبركـاته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينـا

---

(2) الغطريف : السيد الشريف السخي، الفتى الشاب .

محمد وآله وصحبه أجمعين.

أخوك، ومحبك
محمد بن إبراهيم
الحمد
ص.ب: 460
www.toislam.net

الفهرس

_مقدمـــــــــــة الطبعـــــــــــة الثالثة.....	3
_المقدمة.....	4
_الرسالة.....	5
_الوصايا:.....	6
1_التقوى.....	6
2_الصـــبر والمصـــابرة، والجـــد والمثابرة.....	7
3_تبجيـــــــــل المعلميـــــــــن، واحترامهم.....	8
4_الحـــــــــــرص علـــــــــــى الاستفادة.....	9
5_المحافظـــــــــة علـــــــــى الوقت.....	10

.....	
6_علـــــــــــــــــــــــــــــــو الهمة.....	11
7_شـــــــــــــــــــــــــــــــرف النفس.....	12
8_العفـــــــــــــــــــــــــــــــة العفةَ.....	13
9_الإحســـــــــــــان إلـــــــــــى الناس.....	14
10_حـــــــــافظ علـــــــــى آداب المحادثة.....	15
11_قيِّـــــــــــــــد العلـــــــــــــم بالكتابة.....	16
12_تـــــــــــدرَّب علـــــــــــى الخطابة.....	17

13_لا تجعـل الـدنيا اكـبر همـك، ولا مبلغ علمك	18
14_واعلـــم ثـــم اعلـــم فضـــل العلم.....	19
15_تجنـب الغلظـة والشـدة، وإيـاك والتخـــاذل والرخـــاوة الزائـــدة	20
16_لا تـــترفع بحيـــث تســـتثقل، ولا تتنـازل بحيـث تسـتخس وتسـتحقر	21
17_تجنـــــب الوقيعـــــة فـــــي الناس.....	21
18_اغتنـــم زهـــرة العمـــر، وميعـــة الصبا.....	21
19_ليكـــن ســـرُّك خيـــراً مـــن علانيتك.....	22
20_إيـــــــــاك والحســـــــــد والحقد.....	22

21_سلامة الصدر.....	22
22_لا تيأسن من استصلاح النفس.....	23
23_إياك والتقليد الأعمى.....	23
24_إياك وصحبة الأشرار.....	25
25_وبالوالدين إحساناً.....	26
26_إياك والتسويف.....	26
27_الحياءَ الحياءَ.....	27
28_تقبَّل النقد البناء، والنصيحة الهادئة	28

29_عليـــــــــــــــــــــــك بالصدق.....	29
30_الإخلاص الإخلاص.....	29
31_الـــــــــــــــــــــــزم الشورى.....	30
32_أقـــــــــــــــــــــــم الصلاة.....	30
33_وأمـــر بـــالمعروف، وانـــه عـــن المنكر.....	30
34_ورتـــــــــــل القـــــــــرآن ترتيلاً	30
35_وخـــــالق النـــــاس بخلـــــق حسن.....	31
36_وإذا فرغت فانصب، وإلـى ربـك فارغب	31

_أبيـــات تصـــف حـــال الطـــالب النجيب.....	3 3